عد ٤ المجلد الاول

النفائس

مجموعة لطائف وفكاهات
تصدر مرة في الاسبوع
لمنشئها
خليل بيدس

الاحد في ٢٢ (و٩ ش) تشرين الثاني سنة ١٩٠٨

القرعة

يُنسب حدوث هذه الرواية الى عهد القائد العام الانكليزي اوليفر كرومويل الشهير الذي كان ايضاً حاكماً في البلاد الانكليزية . فقد كان من جملة قواد الجيش الانكليزي وقتئذٍ رجل بسن الثلاثين اشتهر بالرغم عن حداثة سنهِ ببسالته وبلائه في ساحات الوغى واكتسب بذلك صيتاً حسناً في البلاد واحدوثة طيبة في الجيش حتى صار نموذجاً للبسالة ومثالاً للاقدام . وكان لهُ امرأة حديثة السن لطيفة الذات

فكانت عيشته معها راضيةً تمثلت فيها سعادة الحياة ورغد معيشة الزوجين بالالفة والسلام. غير ان مصيبة عظيمة انقضت عليهما بغتة فقوّضت كل آمالهما وتهددتهما باشدّ الاهوال واعظم الاخطار

☆

كان هذا القائد واسمه مايفار جالساً في احدى ليالي الشتاء في منزلهِ والى جانبه امراته . فبعد ان تحدَّثا قليلاً في موضوع مصيبتهما قاما فصليا صلاة حارّةً ثم جلسا يتأملان في حالتهما التعسة و يتنهدان لعلمهما بان ساعة الخطر قد صارت اقرب اليهما من حبل الوريد . وكانت لهما ابنة جميلة الصورة بديعة الهيئة بسن السابعة واسمها اڤّي فكانت موضوع عنايتهما واهتمامهما وقد وقفا عليها جميع عواطفهما . وكان القائد مايفار يعلم ان ابنته لا تبطيء ان تدخل عليهما لتودعهما قبل ذهابها الى سريرها ولذلك قال لزوجتهِ كفكفي دموعك الان لئلاَّ تراك عزيزتنا اڤّي وتبتئس فلاجلها يجب ان ننسى كل حزن . قالت ساجتهد في اخفاء حزني العظيم في اعماق قلبي . قال علينا في كل حال ان نحتمل هذه المصيبة بصبر ونستقبل القدر كيف جاء فليفعل الله مايشاء . وما كاد يفرغ من كلامه حتى دخلت الابنة في ثياب النوم وهي تطفر فرحة مسرورةً فالقت بنفسها على ابيها وقبلتهُ . فضمها هو الى صدره وقبلها طويلاً وهو يرتعش . فقالت لهُ لماذا تقبلني هكذا بشدة والدي العزيز فقد آلمتني واخربت ترتيب شعري . قال عفواً

ياحبيبتي فانا مستعد ان اكفر عن ذنبي بما تشائين بشرط ان تصفحي لي . ثم قبلها ثانيةً وهو يظهر المسرَّة . فاشرق وجه الطفلة وقالت فاذاً احك لي قصة لطيفة اتفكه بها قبل النوم . قال سمعاً وطاعة فساحكي لكِ قصة مفرحة للغاية . قالت لا بل اريد ان اسمع منك هذه الليلة قصة مخيفة وقد ذكرت لي مرضعتي اليوم بان الناس لا يقضون كل ايامهم بالغبطة والسرور بل يحدث لهم كثيراً ما محن ومصائب شتى فاريد منك ان تحكي لي هذه الليلة شيئاً من مثل ذلك . فتنهدت الام . وقال الاب حسنٌ فسافعل ذلك الان حسب طلبك . فتهللت الابنة وقالت لامها اقتربي الينا يا امي وخذي احدى يديَّ وابي ياخذ الاخرى لنكون منضمين الى بعضنا بحيث لا يتولاَّنا الخوف والجزع اذا راينا في القصة ما يخيف ولما جلسوا كما ارادت قال الاب كان في احدى الممالك ثلاثة قوَّاد . . . فقاطعتهُ ابي بقولها آه ما احسن هذه القصة فانا اعرف القواد واحبهم لانك واحد منهم . فاندفع من صدر الاب تنهد طويل ثم واصل حديثه بقوله وان هولاء القواد قد خالفوا مرة النظام العسكري لان القائد العام امرهم ان يتظاهروا بالهجوم علَى الاعداء ليسهلوا بذلك الانسحاب للجيش اما هم فبدلاً من المظاهرة بالهجوم هجموا هجوماً فعلياً وانتصروا انتصاراً باهراً اما القائد العام فمع سروره بهذا الانتصار اغتاظ جداً لعدم انقياد القواد ومخالفتهم اوامره ولذلك ارسلهم الى لندن ليحاكموا في مجلس حربي . فقالت ابي افليس

القائد العام هو كروموبل يا والدي؟ قال نعم هو بعينه · قالت انا اعرفهُ وقد رايتهُ مرة على صهوة جواده مارًّا باز آء بيتنا ومن حوله الجنود وقد كان وقتئذٍ عابس الوجه والجميع خائفون منهُ اما انا فلم اخفهُ لانهُ لم ينظر اليَّ بغضب · فتنفس الاب ثم مضى في حديثه فقال وبناءً على اوامر القائد توجه القواد الثلاثة الى لندن وبعد المحاكمة أُذن لهم ان يبيتوا في بيوتهم آخر مرة في حياتهم ثم صرفوهم بعد ان اخذوا عليهم عهداً ان يعودوا في اليوم التالي ويسلموا انفسهم الى القضاء · ولما قال ذلك سمع وطء اقدام في الشارع فاصغى ليتحقق ذلك وفي هذه الفترة حانت من ابيّ التفاتة الى والدتي فرات عينيها سابحتين في الدموع فذعرت وقالت ما بالكِ تبكين يا والدتي؟ فهل خفت على هؤلاء القواد؟ لا. لا تخافي فستسمعين الان بنجاتهم · ثم قالت لابيها وكيف حكمت عليهم المحكمة؟ قال قد حكمت عليهم بالاعدام رمياً بالرصاص فارتجفت الطفلة وقالت تبًّا لهذا الحكم الجائر!! وهل انت تعرف هؤلاء القواد يا ابي؟ قال نعم اعرفهم · قالت ياليتني اعرفهم انا ايضاً لاني احب جميع القواد · ولو رايتهم واردت ان اقبلهم فهل يسمحون لي بذلك؟ فارتعش الاب وقال واحد منهم يسمح لك بذلك بلا شك فقبليني عنهُ فارتمت الابنة على عنق ابيها وقبلتهُ ثلاثاً وهي تقول هذه لك عن احدهم وهاتان القبلتان الاخريان للقائدين الآخران ولو رايتهم لقلت لهم بلا تردُّد ان والدي هو قائد ايضاً وشجاع مثلكم وهو لو كان في مكانكم لفعل كما فعلتم لان في عملكم ما لا يجوز ان يسمى خيانة او ذنباً · ولما قالت ذلك التفتت الى امها فرأتها تبكي والدموع تنهمل من عينيها بغزارة فقالت لها حسبك بكاءً يا اماه فقريباً نصل الى النتيجة

المفرحة في القصة · فزفر الاب وقال ولكن قبل خروج هؤلاء القواد من المحكمة ذهب القضاة والتمسوا من القائد العام ان يصفح لاثنين من المحكوم عليهم وينفذ الحكم في واحد فقط ليكون عبرة للجيش · فرفض القائد العام التماسهم وقال لهم بما انكم قد حكمتم بالعدل والشرف على هولاء الرجال بالاعدام فليس لي ان انقض حكمكم لئلا اشين بذلك شرفي العسكري · اما القضاة فاجابوه بانهم نعم قد حكموا على المجرمين بالاعدام الا انهم لا يقدرون ان يصفحوا لهم لان ذلك ليس من ولايتهم · وكان القائد العام صعب المراس غير انهُ قَبِل هذه المرة شفاعة القضاة وقال لهم لا باس من الافراج عن اثنين منهم وعليه فادعوهم ليسحبوا القرعة ومن وقعت عليه يُنفذ فيه الحكم لا محالة · ولما عُرض ذلك على القوّاد ابوا كل الاباء واصرّوا على الاذعان لقرار المحكمة لان ذنبهم في نظر المحكمة واحد فكيف يجوز ان يعدم واحد ويبقى اثنان في قيد الحياة وفضلاً عن ذلك فالذي يسحب قرعة القتل يكون كانه قتل نفسه وهذا مخالف لنص الشريعة · فقالت ابي فاذاً هم يفضلون الموت معاً · اجاب نعم هو كما تقولين · ولما قال الاب ذلك سمع وقع اقدام تقترب الى المنزل ولم يلبث ان سمع قرعاً عنيفاً على الباب وقائلاً يقول باسم الحاكم آمركم ان تفتحوا · فوقفت ابي وهي تقول لوالدها لعلهم من الجنود يا ابي فاسمح لي ان افتح لهم لاني احب الجنود · ثم قفزت الى الباب ففتحتهُ وهي تقول اهلاً بكم ايها الجنود · ولم تكن الا طرفة عين حتى دخل نفرٌ من الجنود الطوال القامات وفي طليعتهم ضابطهم فوقفوا في وسط الغرفة صفاً واحداً وحرابهم في

ايديهم . ثم تقدم الضابط خطوتين الى الامام وحيّا القائد مايفار وطلب منهُ ان يسير معهم الى قلعة التوير . فنهض القائد وردّ التحية ثم بادر فودّع امراته وابنتهُ بما لا يوصف من التأثر والحزن وانطلق مع الجنود الى حيث ارادوا . وكانت ابّي لم تفهم شيئاً من كل ما جرى فلما خرج ابوها قالت لامها انا اعرف قلعة التوير يا والدتي فقد اخذني ابي اليها مرارا ولعلهُ الان ذاهب الى هناك ليرى القواد الثلاثة الذين حكى لنا قصتهم . فشهقت الام المسكينة واسترسلت الى البكاء والنحيب ثم صاحت والياس يقطع صوتها اوّاه ما اتعس حظي وحظك ايتها الطفلة المسكينة . ثم سقطت متلاشية القوى . فجاء الخدم ونقلوها الى سريرها واعتنوا بامرها الى ان جآء الاطباء واخذوا في معالجتها بالمنبهات والمنعشات . كل ذلك وابّي لم تفقه شيئاً من هذه الاسرار والغوامض غير انها لما رات امها تبكي اشتد عليها ذلك وبكت كثيراً

ولما كان اليوم التالي بقيت الوالدة المسكينة في فراشها ومن حولها الاطباء يعالجونها بكل ما أُوتوه من المهارة . ولم يُسمح لابّي ان تدخل على والدتها الّا انّ تزيدها تاثراً بيد ان مرضعتها اذنت لها ان تخرج الى الشارع وتلعب . وان هذه الفتاة الصغيرة بعد ان لعبت قليلاً تذكرت ان والدتها مريضة وان اباها لم يعد من التوير فعزمت ان تنطلق بنفسها وتستدعيه ليكون عند والدتها المريضة

وفي هذا الوقت كان اعضاء المحكمة العسكرية قد مثلوا امام القائد العام فسالهم عن القواد المجرمين فاجابوا انهم لا يزالون مصرين على رفض سحب القرعة ويفضلون نفاذ الحكم باعدامهم جميعاً من ان يجروا شيئاً منافياً لشريعتهم وشرفهم فاطرق الحاكم قليلاً وهو لا يدري ماذا يفعل . ولكنه لم يلبث ان اشرق وجههُ فرفع راسهُ وقال لا يجب ان يموتوا كلهم بل يجب ان يموت واحد منهم فقط بالقرعة وعليهِ فاوقفوهم في هذه الغرفة المجاورة صفاً واحداً وجوههم الى جهة الحائط وايديهم موثقة الى ظهورهم على هيئة صليب . ولما قال ذلك نهض اعضاء المحكمة فشكروه على كرم اخلاقه وخرجوا . فاستدعى هو احد حجابه وامره ان يخرج الى الشارع ويحضر اليهِ اول طفل يصادفهُ في طريقه باقرب من التوير . وما غاب الحاجب الا بضع دقائق حتى عاد يقود بيده ابنة الصغيرة التي جاءت في ذلك الصباح الى التوير تبحث عن ابيها كما مرَّ سابقاً . فدخلت هذه الطفلة بدون وجل وتقدمت الى القائد العام الذي كان الملوك والامراء يرتعدون عند ذكر اسمه وقالت لهُ برباطة جاش انا اعرفك يا كروموويل وقد شاهدتك مراراً حينما كنت تمرُّ بازاء بيتنا وانا اعلم ايضاً ان الجميع يخشون باسك اما انا فلا اخشاك لانك لم تنظر اليَّ بعبوسة وغضب وهل تذكر حينما رايتني مرةً بثوبي الاحمر وضحكت في وجهي ?

وكان القائد العام الى تلك الساعة جالساً مقطب الوجه مشتت

الافكار فلما راى هذه الطفلة وسمع حديثها اشرق وجههُ فبش لها وقال اعذريني ايتها الصغيرة لاني لا اتذكر ذلك وقد اكون رايتك واحببتكِ كما اني احبك الان · قالت عجباً وكيف نسيت انك رايتني مع اني لم انس انا ذلك · قال لا باس فاعذريني على ما مضى ومنذ الان لم اعد انساك · قالت ولئن نسيتني يا كروموبل فانا احبك لانك مثال اللطف وكرم الاخلاق كوالدي فاجلسني الان علَى ركبتيك لاني اشعر ببرد شديد وتعب مفرط · فتبسم القائد العام وشعر بميل عظيم الى هذه الفتاة الطاهرة فاخذها واجلسها في حضنه وقال انتِ تذكريني الان بابنتي نعم انها اصبحت كبيرة غير انها وهي صغيرة مثلكِ كانت تحب الجميع وتؤانس الجميع وبمحبتها ولطفها كانت تجعل الجميع خدَماً وعبيداً لها وهي لما كانت تجلس في حضني كانت تنسيني كل مشقات الوظيفة وعناء العمل · قالت فاذاً انت تحبها كثيراً · فضحك القائد وقال بلا شك بل كنت اتمم كل اوامرها · قالت ما الطفك وما ارق قلبك فقبلني اذاً · قال من كل قلبي · ثم قبلها · قالت قبلني ايضاً عن ابنتك اذا كنت تسمح · فقبلها ثانية وقال وهذه لها فلا لزوم لان تستأذني بل تقدرين ان تأمري بالنيابة عنها فاتمم امرك عن طيبة خاطر · فصفقت ابي طرباً · وان هي لكذلك دخل علَى القائد العام احد الضباط فانحنى لهُ وقال ايها السير ان المجرمين في اماكنهم كما امرت · فاخذه القائد العام وقال لهُ ستدخل الان هذه الطفلة علَى

المجرمين وتضع بيد كلٍّ منهم كرةً فالذي تكون الكرة الحمرآء من نصيبهِ خذوه لينفذ فيه القضآء وافرجوا عن الاخرين . فأخذت ابي الكرات

ولم تبطىء ان دخلت الغرفة التي اشار اليها القائد العام . وما اشدّ ما كانت دهشتها حينما دخلت ورأت اباها في جملة الواقفين بازآء الحائط . فقفزت اليه والقت في يده الكرة الحمرآء والقت الكرتين الباقيتين في يد كلٍ من القائدين الاخرين ثم عادت الى ابيها وهي تقول لو تنظر يا والدي العزيز ما اجمل هذه الكرة التي جعلتها من نصيبك فهي حمرآء وظريفة

فنظر الاب باشد تأثر الى هذه الطفلة الطاهرة التي بالقائها الكرة الحمرآء في يده قد حكمت عليه حكماً باتاً بالاعدام . فتنهد من كبدٍ حرَّى ثم انحنى عليها وقبلها بمنتهى الحنو والحب . اما الجنود والضباط والقائدان الآخران فبُهتوا وجمدوا كالاصنام وقد هالهم هذا الحادث واثَّر فيهم تأْثيراً شديداً فلم يتمالكوا ان بكوا ولم يخجلوا من دموعهم

وبعد ان ساد الصمت بضع دقائق تقدم كبير الضباط وقال للقائد مايفار يسوءني جداً ايها السير ان اتقدم لآخذك الى الجانب الآخر من القلعة فالواجب يدعوني الى ذلك . فنظرت ابي الى الضابط وقالت له بحدَّة وكيف تريد ان تأخذ ابي ! ان هذا غير ممكن فامي

مريضة وانا قد جئت الى هنا لآخذه اليها ثم التفتت الى ابيها وقالت هيا بنا يا والدي نخرج من هنا لان امي بانتظارك

فدمعت عينا القائد وتنهد من قلب اسيف وقال اوّاه ايتها الحبيبة اني مضطر ان اذهب معه الى حيث يريد فارجعي وحدكِ ولا تنسي اباكِ . فذهلت ابنة ابّي وعادت الى الضابط فرفست الارض برجلها وصاحت بغضب قلت لك ان امي مريضة فأطلقه حالاً .

فتبسم الضابط وقال لها يعلم الله ايتها الطفلة العزيزة اني مضطرٌّ الى اتباع الاوامر المعطاة لي من القائد العام

فتركتهُ ابّي يعطي اوامره للجنود واسرعت الى القائد العام ولم تلبث ان عادت وقد امسكت بيده وهي تقول ناشدك الله ان تأمرهم باطلاق سراح والدي لان امي مريضة في البيت وهي على احر من الجمر تنتظر عودته ولقد قلت لهم ذلك فلم يريدوا

فبُهت القائد العام وقال لها فاذاً هذا ابوكِ ايتها الطفلة العزيزة ؟ قالت نعم ولو لم يكن ابي لما وضعت في يده الكرة الحمراء

فذُعر كروموبل لهذه الحادثة الغريبة وشعر بانزعاج عظيم وتسلطت عَلَى وجههِ غيوم الكآبة فأطرق مفكراً كمن يحارب افكاره فيما يصمم عليهِ . ولما رأت ابّي ارتباكه وتردُّده قالت لهُ انتَ وحدك تقدر ان تامرهم باطلاق سراح والدي فارجوك ان تفعل هذا الان ولقد عاهدتني منذ هنيهة ان تفعل كل ما آمرك به فهاءنذا آمرك الان

بفكّه واخراجه من هنا

وكان القائد العام الى ذلك الوقت مقطب الوجه كثيراً فلما سمع هذه الكلمات الصادرة من مثل هذه المخلوقة الصغيرة اشرق وجههُ وانجلت عنهُ ظلمات العبوس فتبسم وقال كلا لست بمخلف وعدي فاشكرك اللهم لانك انقذتني الآن من تجارب الشيطان فلولا اني وعدت هذه الطفلة بتنفيذ اوامرها لكان قضي عليَّ والدها لا محالة ولكان سبب القضاء عليه ابنته نفسها التي هي اعزّ الناس لديه. ولما قال هذا امر الحراس ففكوا وثق القائد مايفار وقال لابّي هذا ابوكِ فخذيه ايها الملاك الطاهر

فأبرقت اسرة الفتاة وتقدمت الى القائد العام فعانقتهُ وهي تقول ان ظني لم يخطىء محنهُ منك يا كروميل فانت مثال المروءة وكرم الاخلاق

ولم تلبث ان خرجت بابيها وبالقائدين الآخرين من ذاك المحل المخيف وذهب كلٌّ الى بيته وقد طابت نفوسهم وافترَّت ثغورهم

...

وفي مساآء ذلك النهار كان القائد مايفار جالساً في ردهة منزله والى جانبه زوجتهُ وبينهما ابنتهما ابّي يتجاذبون اطراف الحديث ووجوههم طافحة بشراً وقلوبهم مفعمة هناءً

بدائع شعريَّة

قال بعض الشعراء

يا من يُضيِّع عمرهُ في اللهو أَمسِكْ
واعلم بأنك ذاهبٌ كذهاب أمسِكْ

وقال اخر

رأيتُ وجهاً عَلَى قضيبٍ تخالهُ البدرَ والهلالا
فقلتُ ما الاسم قال لولو فقلتُ لي لي فقال لا لا

وقال غيره

رُبَّ سفيهٍ جليس سوءٍ مفترسٍ عضنا بنابه
يقدح فينا بكل عيبٍ وكل ما قالهُ بنا به

وقال المرحوم الشيخ امين الجندي في جزَّار

يا واضع السكين بعد ذبيحهِ في فيه يسقيها رحيق لهاته
ضعها عَلَى المذبوح ثاني مرةٍ وانا الضمين لهُ بردّ حياته

وقال غيره في فتى اسمه موسى

رأَيت في جلّق غزالاً تحار في حسنهِ العيونُ
فقلت ما الاسم قال موسى قلت هنا تُحلق الذقونُ

شقاء الملوك

(تابع لما قبل)

فقالت اني اليوم قد اقسمت في معبد الله علَى محبتك والامانة لك . فانا لم افعل كل ذلك الاَّ مضطرة لتوثيق اواصر المودة والولاء بين المملكتين المتجاورتين . لان ابي واباك وغيرهما من كبار المملكتين ونبلاءهما قد اجتهدوا في ان يجمعونا برابطة الزواج حباً بمصلحة الامتين فرضيت انا ان اضحي حياتي ارضاءً لهذه المصلحة مع اني لا احبك ولا اقدر ان احبك . فنحن متحدان بالاجسام فقط وليس بالنفوس والقلوب هذه هي افكاري اوضحتها لك لكي تكون علَى هدى في امرك

فلما سمع البرنس ذلك وقف كالماخوذ وهو لا يدري ماذا يجب ان يقول او يفعل وقد شعر بتمزُّق في قلبه وتفتت في كبده و بعد نحو دقيقة من الزمن نظر الى وجه البرنسة فقرأ فيهِ ان كلامها مما لا يقبل الرد وهو الحقيقة بعينها فقال لها — فاذاً انتِ تحبين سواي

فلما سمعت منهُ ذلك احتدمت ونهضت عن الكرسي فتقدمت اليهِ وحمرة الخجل والانفة تورّد خدَّيها وجبهتها وقالت انتَ واهمٌ في

قولك فلواني احب سواك لما اقترنت بك ولو كنتَ بمقام اسمى من مقامك الحالي مئات من المرات . والحقيقة هي اني لم اعرف الهوى ولم يذكر احد امامي كلمة حب فانا منذ الصغر قد أُشربت بغض الرجال فلم احب رجلاً قط وكانت كراهتي الشديدة لجنس الرجال عموماً تزداد يوماً بعد يوم حتى صرت امقت مشاهدتهم وانفر من سماع اصواتهم ولما يدنو احد منهم ليلمس يدي اشعر بتاثير مزعج وباهانة كلية منهُ يظل اثرهما في نفسي بضعة ايام وكل هذا لم يخفَ على والدتي . فهي على الدوام كانت تسميني (غير طبيعية) ولعلني كذلك . وها اني قد اطاعتك عَلَى مكنونات قلبي وانت بعد ذلك وما تشاء . غير اني اسالك ان تعترف باني باقتراني بك قد قدمت نفسي ضحيةً لله وللامتين المتجاورتين ليس الاَّ

وكان ولي العهد يسمع الحديث بقلب خافق وقد ملكهُ العجب والذهول فظنَّ ان البرنسة قد خولط في عقلها اوانها تهذي غير انهُ لم يرَ في حركاتها وملامحها ما يدلُّ عَلَى ذلك فتأثر اشد تأثُّر وارتسمت على وجهه امارات الحزن . اما هي فلم تدعهُ يفتكر طويلاً حتى قالت له واني اراك تستغرب كلامي ولا تكاد تصدقهُ لِما اشتهر عن النساء من رقة الشعور واستعدادهن الفطري للغرام والهوى اذ يعتبرن ان الزواج لذة فائقة او هو السعادة العليا . اما انا فلست عَلَى رأيهنَّ من هذا القبيل لاني لا اعتبر الزواج شرفاً بل حطةً وعاراً

قال فمن كلامك اذاً يجب ان استنتج ...

فقاطعته بقولها — يجب ان تستنتج اني لا احبك لاني لا اقدر ان احب رجلاً . نعم اني زوجتك وقد سلمت ذاتي لك ولشعبك الاَّ المحبة

فدنا منها وامسك بيديها وقبلها بلطف وهو يقول ما اغرب هذه الشروط!!!

اما هي فلم تجب ولم تمانع غير ان قشعريرة دبت في كل جسمها من هذه القبلة . وكان البرنس ينظر اليها و يتأمل في محاسنها وهو يندب سوء حظه و يقول في نفسه «أو َاكون ملكاً و في حوزتي هذا الجمال الباهر وليس في امكاني ان انبه فيها عوامل المحبة لي؟ عجباً او تخلق هذه المرأة بهذا القالب الفتان وليس فيها شيءٌ من العواطف والاميال والاهواء والشهوات ؟ ولو انها تبدو كالاهةٍ هبطت من العلاء غير انها مع ذلك امرأة ..» واخيراً قال لها ـ انك اوضحتِ لي كل ما في نفسك فانا مستعدٌّ ان اتجرع مصابي بالصبر غير اني لا اكتمك اني انا ايضاً لست بآثم فانا اطلب ما ليس لي واسعى للحصول علَى ما ليس في حوزتي . وهكذا فنحن الان قد ادرك كلٌّ منا ما ينطوي عليه الآخر

فرفعت اليهِ عينيها السوداوين تتلالأ فيهما نفسها الطاهرة الجريئة وهي كانها تدعو الى حرب معنوية ذاك الذي اعطيت له السيادة المطلقة على جسدها ثم حنت راسها وانصرفت عنه الى مخدعها وعيناها مغرورقتان

بالدموع ومن ذالك الحين لم يعد يجري بينها وبين زوجها مثل هذا الحديث

الفصل السابع

الملك والملكة

ومضت الايام ودرجت معها الشهور والاعوام والحالة لم تتغير قط فيما بين البرنس وزوجته وقد كانت هي كشهيدة تتم بكل دقة واجبات الزوجة والام دون ان تتحرّك فيها عاطفة حب نحو زوجها فولدت ثلاثة بنين ومع هذا فلم يتغير شيء من جمالها سوى انها كانت قبل الولادة نجماً لامعاً فاصبحت الان بدراً منيراً . ولم تكن واحدة من نساء البلاط تحاكيها في جمالها وكمالها . وكانت هذه البرنسة شبيهة جداً بكليوبطرا المصرية التي لم تقدر السنون ان تغير شيئاً من جمالها واعتدالها . فعيناها بقيتا كما كانتا لامعتين ساطعتين و بدنها ابيض بضّاً وجميع الافكار والحاسات والحوادث التي جرت لها لم تؤثر شيئاً في نفسها كانهُ لم يحدث شيءٌ وكان الكثيرون من بطانة الملك يتدلهون عند مشاهدتها اما هي فلم تكن لتحفل بشيء من هذا

وكان ولي العهد عَلَى اثر اقترانه بها يسعى جهده ليفوز بشيء من ميلها ومحبتها ليس لانهُ كان يحبها فقط بل لكي يتغلب عليها ويستولي عَلَى

عواطفها ويهدم الحاجز الذي بينهما · ولما تاكد ان مساعيه قد ذهبت درج الرياح شرع يسلي نفسه بمعاشرة نساء القصر · فكان يطايبهن ويسايرهن ويظهر لهن المحبة وهو يريد بذلك ان ينبه في زوجته عاطفة الغيرة · غير انهُ لم يستفد شيئاً لانها كانت كانها لم تلاحظ ما يجري حواليها · وكان هذا اكثر مما يقدر البرنس ان يحتمله فلبث صابراً زاعماً انهُ لا بدلهُ من الغلبة عليها يوماً ما · وكان في نفسه يعتبرها كثيراً لانها كانت في معاملتها لاولادها واعتنائها بشؤُونهم وآدابهم تفوق سائر الامهات

وظلّ البرنس ولياً للعهد بعد زواجه بالبرنسة ثمانية عشر عاماً فلما ارتقى الى سرير الملك بعد وفاة ابيه افتكر بان زوجته قد تغير الان شيئاً من عوائدها معهُ · غير ان ذلك كان زعماً باطلاً لانها بقيت كما كانت على حالها الاول

٭

وقد جرى في المملكة يوم وفاة والده وارتقائه هو الى سرير المملكة احتفالات شائقة اشترك بها جميع افراد الرعية في سائر اطراف المملكة من اقصاها الى اقصاها · وكان الجميع يتوسمون خيراً في مستقبل هذا الملك الجديد نظراً لما ذاع عنهُ وهو وليّ للعهد من حب الرعية وميله الى العدل والانصاف واستعداده الى رفع شان البلاد من جميع الوجوه واتصافه برقة الطباع وبديع الخصال وبُعده عن العجرفة

والترَف

ومضى على وفاة ابيه ثلاث سنوات وهو جالس عَلَى سرير المملكة دون ان يجري في البلاد تغيير مهم ٠ وقد صار لهُ من العمر خمس وار بعون سنة ولابنه البكر اي ولي عهده عشرون سنة كاملة

الفصل الثامن

يقظة الملك

وقد درس الملك في خلال هذه السنوات الثلاث التي مرَّت من ملكه احوال المملكة درساً حقيقياً واطلع عَلَى مفاسد كثيرة ومظالم اكثر وعرف ان الرعية باسرها تكابد مرَّ العناء وهي لا تقدر ان توصل صوتها الى ملكها لان رجال البلاط والوزراء والكبراء يقفون سداً في وجهها و يبلغون الملك على الدوام بان البلاد رانعة في بحابح النعيم وكان هو في هذه السنوات المنقضية متوليًا شوءون المملكة كاسلافه فكان الوزرآء يقررون ما يرون وهو يجاريهم في كل شيء فان قالوا ان فلاناً يستحق الانعام وارتب انعم عليه وان قالوا ان الضريبة الفلانية مما لا بُد منهُ لاجل مصلحة المملكة امر بها الى غير ذلك من الشوءون والامور التي كان يامر باجرآئها تنفيذاً لقرار الوزراء ٠ ولكنهُ لما اطلع على فساد الاحكام وتفاقم الشر في البلاد قرَّر ان يستيقظ من غفلته وينشط من عقاله و يبادر الى العمل بنفسه

وهذه السنوات الثلاث التي قضاها اسيراً عَلَى عرشهِ قد نبهت فيه اميالاً كثيرة لحرية الكلمة وحرية العمل وغيرها وصار مذ تنبه الى ذلك يفتكر كثيراً بكل فائدة يراها صالحة لتحسن حالة رعيته و بلاده

وقد قضى في شرفة قصره هذا النهار وهو اليوم الاول من تاريخ هذه الرواية ساعات طوالاً منذهلاً غائصاً في بحار الافكار و بعد ان تأمل طويلاً اندفع من صدره تنهد عميق وكانهُ اشرق عليه فكر غريب في تلك اللحظة فقال في نفسهِ (اجل ان المملكة مصابة الان بادواء خطيرة ولا بدَّ لي من استئصال جراثيمها فلن ابقى بعد الان العوبة في ايدي الوزراء والمشيرين بل ساسعى الى العمل كما يوحي اليَّ عقلي ويلهمني قلبي ومحبتي لشعبي وساكون لهُ لا ملكاً فقط بل صديقاً ايضاً . واذا لم تفهمني رعيتي وتقدّر مساعيَّ التي سابذلها في سبيل خدمتها فلتنهض كلها ضدي ولتثر علي حرباً شديدة ولكني قبل موتي سأبرهن لها اني كنت اهلاً لان أُدعى انساناً . اليوم أُريد ان اشرع في العمل . اليوم بداءة ملكي وما مضى فقد مضى ، ثمانية عشر عاماً لما كنت ولياً للعهد قد اضعتها بالفارغ وثلاثة اعوام بعدها كنت اسيراً لوزرائي وارباب مملكتي اما الان فقد اتضحت لي الحقيقة وادركت ان نواميس الطبيعة مؤسسة على الحق والعدل بخلاف نواميس البشر القائمة على الظلم والغدر والخديعة . وها اني ساقف في وجه كل ظلم وكل عسف واخدم

الحق والعدل ولو كان في ذلك حتفي · ان شعبي قد توَّجني منذ ثلاث سنوات واما تتويجي الحقيقي فهو في هذا النهار حيث انا بملء حريتي ومطلق ارادتي اضع على راسي تاج الحق العدل)

ولما قال الملك هذا نهض من مكانه فدخل الى غرفة الكتابة في قصره وجلس الى مكتبتهِ واخذ يطالع بعض الاوراق التي كانت موضوعة فيها

الفصل التاسع

الملك وكاتم اسراره

و بينا كان الملك جالساً الى مكتبته منهمكاً بالمطالعة دخل عليه السير روجر دي لوني كاتم اسراره وهو رجل طويل القامة جميل الطلعة شديد العضل وكان الملك يحبهُ و يعتبره اخاص اصدقائه ويبوح لهُ باسراره و يعتمد عليه في اكثر الشؤُون · فلما رآه داخلاً بشَّ اليه وقال - تراني في هذا النهار يا روجر سعيداً اجداً لاني صممت عَلَى العمل كما قلت لك فعسى ان يفتح عليَّ بكل ما فيه الخير لرعيتي

فانحنى السير روجر للملك وتبسم ولم يجب

فقال لهُ الملك ــ ما بالك لا تجاوبني بكلمة يا روجر ؟ فهل انت تزعم اني اخاطبك بالاحاجي والمعميات او انت في شك من كلامي ؟

(ستاتي البقية)